رُؤْيَةُ الأَمْواتِ فِي اليَقَظَة

بين دلالةِ نصوصِ البَرْزَخِ وإمكانِ التَّمَثُّل

جوابٌ عن سؤالاتٍ في المسألة

بقلم
إسماعيل بن محمد يحيى بن أَشْفَقَنا الله

بين يدي الرسالة

الحمدُ لله، والصّلاةُ والسّلامُ على رسول الله، وبعد:

فهذه رسالةٌ لطيفةٌ، هي جوابُ الشّيخ إسماعيل بن محمد يحيى بن أَشْفَقَنا الله عن سُؤالاتٍ وجّهها إليه الشّيخُ محمّد، في مسألةٍ دقيقةٍ من مسائل الغيب: هل تدلُّ نصوصُ البَرْزَخ على امتناع رؤية الأموات في اليقظة مطلقًا، أم على امتناع رجوعهم إلى الحياة الدّنيا على الوجه المعتاد؟

وقد سار الجوابُ على ترتيب السّؤال، فبيّن المرادَ بالبرزخ وأصلَه في اللّغة، ونقل أقوال أهل التّفسير في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾، ثمّ تناول تمثُّلَ الأرواح في عالم المثال وشواهدَه من الكتاب والسّنّة، وتكلّم على حديث ابن عمر في رؤية أبي جهل وبيّن درجته، مستأنسًا بنقولٍ عن الإمامين الغزاليّ وابن القيّم، ثمّ ختم بخلاصةٍ جامعةٍ تقوم على ثلاثة أصول: إنزالِ النّصوص منازلَها في الدّلالة، ومراعاةِ خصوصيّة عالم البرزخ، والوقوفِ عند البرهان في الإثبات والنّفي.

والله الموفّق.

نصُّ السّؤال

شيخنا الحبيب إسماعيل أشفقنا الله، حفظكم الله ونفعنا بعلمكم، لديّ إشكال أرجو أن أجد جوابه في أحد أجوبتكم المحرّرة والمؤصّلة، التي عهدنا فيها الدّقةَ في الاستدلال، والتّحريرَ في محلّ النّزاع، والجمعَ بين النّصوصِ الشرعيّةِ وقواعدِ النّظر والاستنباط، ما شاء الله تبارك الله.

والإشكال هو: هل تدلّ نصوص البَرْزخ على امتناع رُؤيةِ الأمواتِ في اليقظة مطلقًا، أم على امتناعِ رُجوعِهم إلى الحياة الدّنيا على الوَجْهِ المعتاد؟

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾، وقال تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

فهلْ تُفيدُ هذه الآياتُ استحالةَ كلّ لقاءٍ أو رُؤْيةٍ استثنائيةٍ للأمواتِ في اليقظة، أم أنّ الاستدلالَ بها على هذا الإطلاقِ يتجاوزُ دلالتها؛ إذْ غايةُ ما تُقَرّرُه امتناعُ الرّجوعِ إلى الدّنيا واستئنافِ الحياةِ والتّكليف؟

وهل يصِحُّ الانتقالُ من ثبوتِ عالم البَرْزخ وخُصوصِيّته، إلى الجزم باستحالةِ كلّ صورةٍ من صُوَرِ التّواصُلِ الاستثنائيّ، أم أنّ المسألةَ تحتاجُ إلى تفصيلٍ بحسب نوع الرّؤيةِ وحقيقتِها ودَعْواها؟

ثم إنّ الملائكة من عالم الغيب، وقد ثبتَ تمثّلُهم في صُورةِ البشر، كما في حديث عمر رضي الله عنه في مجيء الرجل شَديدِ بَياضِ الثّيابِ شَديدِ سَوادِ الشَّعَر.

فهلْ يصِحُّ الاستدلالُ بذلك على إمكانِ رُؤيةِ الأَرْواح أو محادثتِها في اليقظة، أم أنّ تمثُّلَ الملائكةِ خُصوصيّةٌ ثابتةٌ بالنّص، لا يصِحُّ قياسُ سائر أحوالِ الغيبِ عليها من غير دليل؟

وكذلك هلْ يُستدل بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلةَ الإسراءِ على إمكانِ رُؤيةِ الأمواتِ في اليقظة، أم أنّ لهذه الواقعةِ

خُصوصيتَها، ولا يلزمُ من ثبوتها جوازُ تعميم الحكم على غير الأنبياء؟

وما مَدَى ثبوتِ حديثِ ابن عمر رضي الله عنهما في رؤيته رجلًا يُعذَّب، ثمّ إخبارِ النبي صلى الله عليه وسلم بأنّه أبو جَهْل، وقوله: «ذَاكَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشامٍ، وذَاكَ عَذَابُهُ إلى يَوْمِ الْقِيامَة»؟

وهلْ يصِحُّ الحديثُ أصلًا، وما دلالتُه ـ إنْ ثبتَ ـ على إمكانِ الاطّلاعِ على أحوالِ البَرْزخ في اليقظة؟ وهلْ يُعدّ دليلًا في محلّ النّزاع؟

وعلى كلّ حالٍ كيفَ نُوازنُ في هذه المسألةِ بين دلالاتِ النّصوص، وخُصوصيةِ عالم البَرْزخ، وعدَمِ التّوسع في إثباتِ الغيبيّاتِ أو نَفْيِها بغير بُرهان؟

الجواب

جوابًا على سُؤالات أخينا الفقيه الفاضل الحبيب الشيخ محمد حفظه الله تعالى ونفع به، نقول وبالله التوفيق:

۞ المُراد بالبَرْزخ في الآية الكريمة ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: هو المدّةُ التي بين الموتِ وقيامِ السّاعة، فهي تحولُ بين الأمواتِ وبين مِيعادِ قِيام السّاعة، أو بينَهُم وبين الرّجوعِ إلى الدّنيا، وأصلُ البَرْزخ في اللّغة: الحاجِزُ بين الشّيْئَيْن.

۞ وقولُه تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾، فيه أقوالٌ لخّصها الإمامُ ابنُ جُزيّ في "التّفسير" ٣/١٦٧-١٦٨، بقوله:

(واخْتُلِف في معنى الآية: فقيل: «حَرامٌ» بمعنى: ممتنعٌ: أيْ ممتنعٌ على قريةٍ أرادَ اللهُ إهْلاكَها أنْ يَرْجِعُوا إلى اللهِ بالتّوبة، أو ممتنعٌ على قريةٍ قد أهلكَها اللهُ أنْ يَرْجِعُوا إلى الدّنيا، و«لَا» زائدةٌ في الوَجْهَين.

وقيل: «حَرامٌ» بمعنى: حَتْمٌ واقعٌ لا مَحالةَ، ويُتَصوَّرُ فيه الوَجْهان، وتكونُ «لَا» نافيةً فيهما، أيْ: حَتْمٌ عدَمُ رُجُوعِهم إلى اللهِ بالتّوبة، أو حَتْمٌ عدَمُ رُجُوعِهم إلى الدّنيا.

وقيل: المعنى: ممتنعٌ على قريةٍ أهلَكَها اللهُ أنّهم لا يَرْجِعُون إليه في الآخِرة، و«لَا» على هذا نافيةٌ أيضًا، ففيه ردٌّ على من أنكر البَعْث). اهـ

۞ والآياتُ في هذا البابِ إنّما تدُلّ على امتناع رجوعهم إلى الحياة الدنيا على الوجه المعتاد.

وليسَ فيها دلالةٌ على امتناع رُؤية الأمواتِ في حال اليقظةِ مِمّن قدّرَ الله له ذلك وخصّه به، وكَشَف عنه الحِجاب.

۞ وعالم البَرْزخ مِن عالم الأرواح، والأرواحُ باقيةٌ، وهي تَتَجَسَّدُ وتتشكَّلُ في أطوارٍ وصُوَرٍ مختلفةٍ من عالم المثال، وتنتقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ بإذن الله تعالى.

ومِن بُرهان تشكُّل الرّوح وتَجَسُّدِها في عالم المثال، قوله تعالى في قصة مريم عليها السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾.

وثبت في الصّحيح: أنّ الرّوحَ القُدُسَ جبريلَ عليه السّلام كان يتمثّلُ في صورة رجلٍ -هو دِحْيةُ الكَلْبيّ- ويَراهُ الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثبت في الصّحيح أيضًا: أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ رآنِي في المَنامِ فسَيَرانِي في الْيَقَظَة، فإنَّ الشَّيْطانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي».

قال أكثرُ العلماء: المَرْئِيُّ في حال اليقظةِ بعد موتِه صلى الله عليه وسلم هو مثالُ الذّاتِ الشّريفة، وبه صرّح الإمامُ الغزاليُّ فقال: (ليس المرادُ أنه يرى جسمه وبدنه، بلْ مثالاً له، صار ذلك المثالُ آلةً يتأدّى بها المعنى الّذي في نفسه).

۞ إذا عُلِمَ ذلك، عُلِمَ أنّه لا مانع من رُؤيةِ الأمواتِ يقظةً رُؤيةَ تَمَثُّلٍ وتشكُّلٍ للرّوح في عالَمِها البَرْزخيّ، وقد وقع ذلك كثيرًا وبلغ حدّ التواتر بين صُلَحاء هذه الأُمّة، يقول حُجّة الإسلام الغزاليّ رحمه الله تعالى في "المنقذ من الضّلال" ص178، مُشيرًا إلى ذلك:

(ومِنْ أوَّلِ الطّريقةِ تَبْتَدِئُ المُكاشَفاتُ والمُشاهَدات، حتّى أنّهم في يَقَظَتِهِمْ يُشاهِدُون الملائكة، وأَرْواحَ الأَنْبِياء، ويَسْمعُونَ أَصْواتًا، ويَقْتَبِسُونَ منهُمْ فوائِدَ، ثُمّ يَتَرَقَّى الحالُ مِن مُشاهَدةِ الصُّوَر والأَمْثال، إلى دَرَجاتٍ يَضِيقُ عنها النُّطْق). اهـ

وقد يقعُ ذلك لآحادِ النّاسِ تذكرةً واعتبارًا، أو لُطفًا به، أو عِنايةً، أو غير ذلك.

۞ ومِن أدلّة هذا الباب: رُؤيتُه صلى الله عليه وسلم للأنبياء يقظةً ليلةَ الإسراء في بيت المقدس وصلاتُه بهم وهم أمواتٌ في عالم البَرْزخ، ولم يعتبر العلماءُ أنّ في خصوصِ تلك الرّؤيةِ للأمواتِ خصوصيّةً.

۞ وأمّا ما ورد من حديثِ ابنِ عُمَر رضي الله عنهما في رؤيته رجلًا يُعذَّب، ثم إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أبو جهل، وقوله: «ذَاكَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشامٍ، وذَاكَ عَذَابُهُ إلى يَوْمِ الْقِيامَة»، فقد ورد عند الطّبرانيّ في الأوسط، لكن ضعّفه أهلُ الأَثَر.

وقد أورد الإمامُ ابن القيّم في كتاب "الروح" طائفةً من الآثار والقَصَص في ذلك يُصدّقُ بعضُها بعضًا، منها قولُه في ص88، ط. دار ابن حزم:

(وحدّثني صاحِبُنا أبُو عبدِ الله محمد بن الرزيز الحرانيّ، أنّه خرج مِن داره بعد العَصْر بآمِدَ إلى بُستانٍ، قال: فلما كان قبلَ غُروبِ الشّمسِ تَوَسّطْتُ القُبورَ، فإذا بقبرٍ منها وهو جَمْرةُ نارٍ مثلَ كُوزِ الزّجَاجِ والميّتُ في وَسَطِه، فجعلتُ أَمْسحُ عَيْنَيَّ وأقول: أنائِمٌ أَنَا أَمْ يَقْظانٌ؟! ثمّ الْتَفَتُّ إلى سُورِ المدينةِ وقلتُ: واللهِ ما أَنَا بِنائِمٍ، ثمّ ذهبتُ إلى أَهْلي وأَنَا مَدْهُوشٌ، فأَتَوْني بطعامٍ فلم أَسْتطِعْ أنْ آكُلَ، ثمّ دخلتُ البَلَد فسألتُ عن صاحبِ القبرِ فإذا به مَكّاسٌ قد تُوفي ذلك اليوم.

فرؤيةُ هذه النّارِ في القبرِ كرُؤيةِ الملائكةِ والجِنّ تقَعُ أحيانًا لمن شاءَ اللهُ أنْ يُرِيَهُ ذلك.

وقد ذكر ابنُ أبي الدّنيا في كتاب "القبور" عن الشَّعْبيّ أنّه ذكَرَ رجُلاً قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: مررتُ ببَدْرٍ فرأيتُ رجُلاً يخرجُ مِن الأرض، فيضْرِبُه رجُلٌ بمِقْمَعةٍ حتّى يَغِيبَ في الأرض، ثمّ يخرجُ

فيفعلُ به ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذَلِكَ أَبُو جَهْلِ بنِ هِشامٍ يُعَذَّبُ إلى يَوْمِ القِيامَة»). اهـ

۞ وخُلاصةُ القول في المسألة: هي أنّ الموازنةَ في مسألةِ رُؤيةِ الأمواتِ يقظةً تقوم على ثلاثة أمورٍ يَحْفظُ بعضُها بعضًا:

1- **أوّلُها:** إنْزالُ النّصوصِ مَنازِلَها في الدّلالة، فآياتُ البَرْزخ كقولِه تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وقولِه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، تدلّ على امْتِناعِ رُجوعِ الأمواتِ إلى الحياة الدُّنيا على الوَجْه المعتاد، ولا تدلّ على نَفْيِ ما قد يقَعُ من تَمَثُّلِ أَرْواحِهم لمَنْ كَشَف اللهُ عنه الحِجاب، فتَحميلُها هذا النَّفْيَ زِيادةٌ على مَدْلُولها.

2- **ثانيها:** مُراعاةُ خُصوصيّةِ عالم البَرْزخ، فهو مِن عالم الأرواح، والأرواحُ باقية، تتشكَّلُ في صُوَرٍ من عالم المثال وتَنْتقِلُ بإذن الله. وشواهدُ ذلك ثابتةٌ كما تقدّم: تمثُّلُ الرّوح القُدُسِ لمريم بشرًا سويًّا، وتمثُّلُ جبريلَ في صورة دِحْيةَ الكَلْبيّ، وحديثُ «مَنْ

رآني في المنامِ فسيَراني في اليَقَظة»، ورُؤْيتُه صلى الله عليه وسلم للأنبياءِ وصلاتُه بهم ليلةَ الإسراء، فالمَرْئِيُّ في هذه الحال مثالٌ للرُّوح وتمثّلٌ لها، لا الجسَدُ الدُّنْيويُّ عائدًا إلى حياتِه الأُولَى.

وبهذا يَرْتفِعُ التّعارُضُ بين امْتِناعِ الرّجوعِ وإمْكانِ الرُّؤية.

3- **ثالثها:** الوقوفُ عند البُرهانِ في الإثْباتِ والنَّفْي؛ فلا يُنْفَى ما دلّ الدّليلُ على إمْكانِه وتَواتَرَتْ به أَخْبارُ الصّالحين، كما أشار إليه الغزاليُّ وابنُ القيّم، ولا يُتوسَّعُ في الإثباتِ بقَبُولِ كُلّ رِوايةٍ دُون تَمْحيص.

ويبقى ما يقَعُ مِن ذلك أمرًا خاصًّا يُكْرِمُ اللهُ به مَن شاءَ: تذكرةً أو لُطفًا أو عِنايةً، فهو ليس أصلًا يُبنى عليه اعتقادٌ زائدٌ أو حكمٌ شرعيّ.

والله تعالى أعلم.

كتبه:

إسماعيل بن محمد يحيى بن أَشْفَقَنا الله

محتوى الرّسالة

بين يدي الرّسالة ٢

نصُّ السّؤال ٣

السّؤالُ عن دلالةِ آياتِ البَرْزَخ على امتناع الرّؤية أو الرّجوع ٣

السّؤالُ عن الاستدلالِ بتمثُّل الملائكة في صورة البشر ٤

السّؤالُ عن صلاةِ النّبيّ ﷺ بالأنبياء ليلةَ الإسراء ٤

السّؤالُ عن حديثِ ابن عمر في رؤية أبي جهل يُعذَّب ٥

الجواب ٦

المرادُ بالبَرْزَخ في الآية وأصلُه في اللّغة ٦

أقوالُ المفسّرين في آية ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ ٦

دلالةُ الآيات على امتناع الرّجوع لا الرّؤية ٧

عالمُ البَرْزَخ وتشكُّلُ الأرواح في عالم المثال ٧

حديثُ «مَنْ رآني في المَنام فسيَراني في اليَقَظة» ٨

رؤيةُ الأموات يقظةً، ونقلُ الغزاليّ في ذلك ٨

رؤيتُه ﷺ للأنبياء ليلةَ الإسراء ٩

درجةُ حديث ابن عمر في رؤية أبي جهل ٩

ما أورده ابنُ القيّم في كتاب «الروح» ١٠

خلاصةُ القول في المسألة ١١

إنزالُ النّصوص منازلَها في الدّلالة ١١

مراعاةُ خصوصيّة عالم البَرْزَخ ١١

الوقوفُ عند البرهان في الإثبات والنّفي ١٢